والملائمة فعلا لمثل هذا الجهاز، فيما اذا تقررت اقامته، بدلا من اتباع العادة اياها فيلحق به اعداد من «الموجودين» الذين يرمون انفسهم على تنظيمات المقاومة، فتقبلهم في صفوفها دون التدقيق كثيرا في مؤهلاتهم وخلفياتهم. وفي اطار الحديث عن العناصر الكفوءة المناسبة لمثل هذا العمل، يكفي ان نشير الى ان الشعب الفلسطيني، الذي تشتت منذ نكبة العام ١٩٤٨ في مشارق الارض ومغاربها، قد خرّج من بين صفوفه المئات، ان لم يكن الالاف من الشبان المتعلمين، الذين لم تبق ربما جامعة ما في كافة انحاء العالم الا واستضافت اعدادا منهم. ونتيجة لذلك نجد بين صفوف الفلسطينيين اعدادا كبيرة من المثقفين الذين درسوا كافة انواع العلوم ويتقنون كافة اللغات ويعرفون عادات وتقاليد الشعوب اجمع، بحيث يمكن من بينهم اقامة جهاز شبه نموذجي لمتابعة مثل ذلك العمل.

وبموازاة هذا التجديد لا بد، ايضا، من تغيير اساليب تجنيد عناصر المقاومة المسلحة وطرق تدريبها، رغم الصعوبات التي يزعم العاملون في هذا المجال انهم يواجهونها. ففي المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ فقط يعيش نحو مليون وربع المليون فلسطيني. ولو افترضنا جدلا انه تم تجنيد شخص واحد فقط من بين كل خمسة آلاف شخص، ويبدو ان تحقيق هذه النسبة ليس ضربا من ضروب الخيال، لامكن اقامة قوة مقاومة من نحو ٢٥٠ شخصا، كافية في حال تدريب افرادها وتوزيعهم على خلايا مستقلة غير مرتبطة ببعضها البعض وتكليف كل منها بمهام محددة، لان تفعل الكثير. بل انه حتى نصف هذا العدد يبدو كافيا لشن مقاومة فعالة.

واضافة الى هذا وذاك، يبدو ايضا انه لا بد من تغيير نوعية عمليات المقاومة واحجامها واهدافها، وجعلها اكثر منطقية وواقعية وامانا بالنسبة لمنفذيها، وكذلك اكثر تأثيرا بربطها باهداف عرقلة المخططات الاسرائيلية في المناطق المحتلة او ما امكن منها على الاقل. فبدلا من زرع متفجرة هنا او اخرى هناك، يستحسن، مثلا، التركيز على جعل المناطق المحتلة غير آمنة بالنسبة للمستوطنين اليهود عامة والجنود اليهود خاصة، بداية في الليل، ثم اذا امكن في النهار. وبدلا من العمليات التي تؤدي الى قتل الاسرائيليين هنا وهناك، دون تمييز، يستحسن التركيز على «نوعيات» معينة. والامثلة في هذا الصدد كثيرة ومتنوعة، ولا حاجة، لاسباب معروفة، للتوسع في شرحها.

ان تصعيد المقاومة لدرجة يمكن معها ان تسبب الما حقيقيا للمحتل الصهيوني ستجر، دون شك، المزيد من اجراءات القمع الاسرائيلية. الا ان مثل هذا التطور، فيما اذا احسن استغلاله، بالتصدي له وفق ما يفترض ان يجري في مثل هذه الحالات، وما يفترض ايضا ان نكون قادرين على القيام به، ينبغي ان يجر مقاومة اكثر عنفا، يتسع مداها تدريجيا حتى تخلق مشكلة حقيقية للمحتل الصهيوني، تدفعه الى اعادة النظر في حساباته، كما جرى في جنوب لبنان.

«أبو صهيون»

لم تكن المقاومة المسلحة للاحتلال الاسرائيلي هي المجال الوحيد الذي لم تبلِ فيه الحركة الوطنية الفلسطينية بلاء حسنا، بل انها قصرّت كذلك في التعامل مع الكيان الصهيوني ككل، من حيث التعاطي كما ينبغي مع نواحي ضعفه وقوته وعوامل تكوينه الخارجية والداخلية. والواقع ان المقاومة الفلسطينية لا تختلف كثيرا، في هذا الشأن، عن باقي الانظمة العربية في تقصيرها جميعا في هذه الناحية. ففيما كان الحديث، ولا يزال، يدور عاليا حول ضرورة التصدي للمخططات